المدارس المصرية وسير التعليم

لقد احسنت الحكومة المصرية بانشائها قلماً للاحصاء العام فانهُ بمثابة قلم المحاسبة في البيوت التجارية يدوّن ما يزيد في القطر وينقص منهُ سنة بعد سنة كنمو السكان وغلات الارض وحركة التجارة وعدد المدارس وما اشبه فيعرف المتولون زمام الامور حال البلاد سائرة نحو الارتقاء او نحو الانحطاط ودرجة هذا السير كما يعرف التاجر من دفاترهِ حال تجارتهُ رابحة او خاسرة وما مقدار الربح والخسارة . ولقد احسنت ايضاً بنشرها نتائج قلم الاحصاء من سنة الى اخرى ومن شهر الى آخر لتطلع الامة على حقيقة سيرها

واماما الآن احصاءهُ مسهب للمدارس المنتشرة في هذا القطر على اختلاف درجاتها والطوائف التابعة لها وفيهِ مقارنة بين حالها في السنة الماضية وحالها في السنوات التي قبلها وهو مسهب يقع في مئتي صفحة كلها ارقام محشوكة حشكاً فرأينا ان نقتطف منهُ ما نظنهُ كافياً لاطلاع الجمهور على حقيقة سير التعليم في هذا القطر وما ينتظر منهُ في المستقبل

(١) الكتاتيب ومعلموها وتلامذتها

كان عدد الكتاتيب الاميرية اي التابعة لنظارة المعارف مباشرة منذ سبع سنوات ١٢٢ كتّاباً وعدد معلميها ٢٦٦ وعدد تلامذتها ٩٠٤٥ فبلغ عددها في العام الماضي ١٤٦ وعدد معلميها ٥٠٧ وعدد تلامذتها ١٤٩٦٥ فالزيادة كبيرة جداً

وكان عدد الكتاتيب التي تراقبها نظارة المعارف وتعينها بالمال ٢٧٦٨ كتّاباً وعدد معلميها ٥١٨٧ وعدد تلامذتها ١٣٣٥٧٦ فبلغ عددها في العام الماضي ٣٢٨٧ وعدد معلميها ٧١٢٨ وعدد تلامذتها ٢٠٦٦٩٩

وكان عدد الكتاتيب التي تراقبها النظارة ولا تعطيها اعانة ١٦٦٤ وعدد معلميها ١٣٩٧ وعدد تلامذتها ٢٢٩٦٦ فبلغ عددها في العام الماضي ٣٦١ وعدد معلميها ٥٣٨ وعدد تلامذتها ٩٧١٢ اي قل عددها وعدد معلميها وتلامذتها لدخول اكثرها تحت الصف الثاني او الاول على ما يظهر . وكان مجموع هذه الكتاتيب كلها من الانواع الثلاثة منذ سبع سنوات ٤٥٥٤ وعدد معلميها ٦٨٥٠ وعدد تلامذتها ١٦٥٥٨٧ فبلغ عددها في العام الماضي ٣٧٩٤ وعدد معلميها ٨١٧٣ وعدد تلامذتها ٢٣١٣٧٦ وهنا الزيادة الحقيقية . فمتوسط عدد تلامذة الكتاب ٦١ ومتوسط عددهم لكل معلم ٢٨

ومعلوم ان الزيادة السنوية في عدد السكان تتراوح بين ١½ و ٢½ في المئة فاذا قلنا ان

عدد السكان زاد حسب المعدل الاول فالزيادة في سبع سنوات نحو ١١ في المئة وعليه كان يجب ان يكون عدد التلامذة في هذه الكتاتيب نحو ٨٤ الفاً فقط اذا كانت زيادتها متوقفة على زيادة عدد السكان لا ٢٣١ الفاً كما هو الآن فالفرق البالغ اكثر من خمسين الفاً نتج اما من زيادة الرغبة في تعليم الصغار او من تقلهم من الكتاتيب التي ليست تحت مراقبة الحكومة الى الكتاتيب التي تحت مراقبتها ولا سبيل للحكم في اي الامرين هو الواقع لان ليس لدينا احصاء عن عدد تلامذة الكتاتيب التي لا تراقبها الحكومة وعسى قلم الاحصاء ان يحصي هذه الكتاتيب في المستقبل وعدد تلامذتها ولو مرة كل بضع سنوات

وعمّا يحسن ذكرهُ ان الزيادة النسبية في عدد البنات اكثر من الزيادة النسبية في عدد البنين . فقد كان عدد البنين منذ سبع سنوات في كل الكتاتيب ١٥٢٧٤٨ وعدد البنات ١٢٨٣٩ فبلغ عددهم في العام الماضي ٢٠٥٦٥٧ وعددهنّ ٢٥٧١٩ اي ان عدد البنات تضاعف منذ سبع سنوات الى الآن واما عدد البنين فزاد نحو ٣١ في المئة فقط فاذا كانت الزيادة في تلامذة هذه الكتاتيب ناتجة عن زيادة الرغبة في التعليم فالرغبة في تعليم البنات بلغت ثلاثة اضعاف الرغبة في تعليم البنين

ومعلوم ان وجود ٢٣١ الفاً من اولاد الامة في الكتاتيب لا يكفي ملطفاً لجعل التعليم عامّاً بل لو كان العدد نصف مليون لبقي دون المراد . فان تلامذة الكتاتيب في بلاد اليابان مثلاً اكثر من ١٢ في المئة من عدد سكانها وفي انكلترا ١٥ في المئة من عدد السكان وفي الولايات المتحدة الاميركية ١٧ في المئة وهو يتراوح بين هذه النسب في اكثر البلدان المتمدنة فاذا بلغ في القطر المصري ١٢ في المئة فقط كما هو في بلاد اليابان وجب ان يكون في الكتاتيب وكل مدارس الاطفال نحو مليون ونصف وان يكون نصفهم من البنين ونصفهم من البنات ويجب ان يوكل تعليمهم الى نحو خمسين الفاً من المعلمين والمعلمات . والمطلوب اجراء بتعليم الصغار من المعلمين وعليهنّ الاعتماد في اكثر البلدان المتمدنة ولكن هل من سبيل لتعليم خمسين الف امرأة وجعلهن يتقطعن لتعليم الصغار كالراهبات والمعلمات في اوربا

(٢) سائر المدارس

كان عدد سائر المدارس في القطر المصري منذ سبع سنوات ٥٠٥ فصار في العام الماضي ١١٣٥ وكان عدد تلامذتها ٩٢١٠٧ البنون منهم ٧١٦٦٦ والبنات ٢٠٤٤١ فصار في العام الماضي ١٦٢٣٥٦ البنون منهم ١٢٤٠١٨ والبنات ٣٨٣٣٨ فجملة عدد الكتاتيب والمدارس ٤٦٠١ وعدد التلامذة فيها كلها ٣٩٣٧٣٢ البنون منهم ٣٢٩٦٧٥ والبنات ٦٤٠٥٧ اي

ان البنات خمس اخوتهن لاغير مع ان نصف اولاد الامة بنون ونصفهم بنات

وللاجانب من هذه المدارس ٣٢٩ مدرسة فيها ٤٨٣٠٣ من التلامذة اكثرها للفرنسويين فان عدد التلامذة في مدارسهم ٢٢١٧٥ ولذلك لا عجب اذا بقيت اللغة الفرنسوية شائعة أكثر من غيرها من اللغات الاجنبية · ويتلوهم الايطاليون فالاميركيون فالانكليز

ويقسم التعليم في هذه المدارس الى ابتدائي وثانوي وعالٍ وخصوصي وصناعي · والتعليم العالي يتناول تعليم الحقوق والطب والهندسة والزراعة · والتعليم الخصوصي يتناول تعليم معلمي المدارس ومعلمي الكتاتيب وتعليم الطالبات في المدرسة السنية · والتعليم الصناعي يتناول التعليم في مدرسة الفنون والصناعات الخديوية ببولاق ومدرسة الصناعة ببولاق والورش الصناعية في القطر كله

فالتلامذة الذين يتعلمون التعليم الابتدائي كانوا منذ سبع سنوات ٧٩٢٦ وبلغوا في العام الماضي ٧٥٥٧ فلم يزيدوا بل تقصوا بعد ان بلغ عددهم ٨٦٥٣ منذ سنتين · فهل رأى جمهور الفلاحين ان تعليم اولادهم التعليم الابتدائي يصرفهم عن الاشتغال بالزراعة ولا يفيدهم فائدة عملية فثبت رغبتهم فيه او لهذا التقص سبب آخر · اما الذين يتعلمون التعليم الثانوي فعددهم زاد زيادة مضطردة كان ٦٧٣ سنة ١٨٩٧ وبلغ ١٣٨٤ سنة ١٩٠٧ وقد بلغ ٢٤٨٦ في العام الماضي

وعدد طلبة الحقوق كان ٦٣ سنة ١٨٩٧ فزاد حتى بلغ ٣٩٠ سنة ١٩٠٨ ثم نقص في العام الماضي الى ٢٧٣ فقط واما طلبة الطب فزاد عددهم زيادة مضطردة من سنة ١٨٩٧ الى الآن كان ٣٥ فقط سنة ١٨٩٧ فبلغ في العام الماضي ٢٥٨ · ولا يستدل من زيادة طلبة الطب على زيادة الامراض بل على زيادة الاهتمام بالتداوي · وهذا لو كانت قلة طلبة الحقوق دليلاً على قلة التداعي · وقد زاد عدد طلبة الهندسة وطلبة الزراعة زيادة كبيرة مضطردة في الغالب فكان عدد طلبة الهندسة ١٧ سنة ١٨٩٧ فبلغ في العام الماضي ١٦٦ وكان عدد طلبة الزراعة ٥٠ فبلغ في العام الماضي ١٧٨ ولو كانت مدرسة الزراعة اوسع مما هي الآن لزاد عددهم على مئتين او مئتين وخمسين

والتلامذة في مدرسة الفنون والصناعات كثار يتراوحون بين ٣٠٠ و ٤٠٠ هبط عددهم سنة ١٩١١ الى ١٥٦ وارتفع سنة ١٩٠٦ الى ٤٢٣ وكان في العام الماضي ٣٢٤ ففيه مدٌّ وجزر كبيران · واغرب من ذلك قلة الذين ينالون الشهادة من هذه المدرسة فقد بلغوا في العام الماضي ٩ اي اقل من عشر التلامذة

(٣) مدارس المعلمين والمعلمات

واهمّ ما في هذا التقرير احصاء مدارس المعلمين والمعلمات لان على عدد المتخرجين والمتخرجات فيها يتوقف انتشار التعليم في القطر

ففي كل مدارس المعلمين في القطر المصري ٦٥٥ تلميذاً وفي كل مدارس المعلمات ٢٧٣ تلميذة فاذا تمّ خمسهم الدرس كل سنة ورضوا ان يأخذوا التعليم حرفة لهم زاد عدد المعلمين ١٣١ وعدد المعلمات ٥٤ ولكن يظهر من هذا التقرير ان ربع الذين يتمون دروسهم لا يشتغلون بالتعليم ونصف اللواتي يتممن دروسهنّ لا يشتغلن بالتعليم فلا ينتظر ان يزيد عدد المعلمين سنوياً من مدارس المعلمين اكثر من ٢٥٠ معلماً وعدد المعلمات اكثر ٢٧ معلمة واذا اضفنا الى هذا العدد ضعفيه من المدارس الابتدائية والثانوية والمدارس الاجنبية بقي عدد المعلمين والمعلمات دون الحاجة اذا اريد تعميم التعليم

ولا شبهة ان الحاجة ماسّة جدّاً الى انشاء مدارس كثيرة للمعلمات حتى لو بلغ عددها عشرين او ثلاثين ما زادت على الحاجة لاسيما وانهُ لا ينتظر ان يشتغل بالتعليم نصف المتخرجات منها واللواتي يشتغلن به لا يلبثن ان يتزوجن ويضطررن الى تركه

(٤) تعميم التعليم

ولكن هل تعميم التعليم واجب . هل يجب على كل فلاّح وعامل وصانع ان يكون عارفاً بالقراءة والكتابة وهل يجب على كل امرأة ان تكون قارئة كاتبة . لا شبهة ان العلم خير من الجهل واذا استطاع كل احد ان يتعلم القراءة والكتابة ثم العلوم الرياضية والطبيعية والصحية فذلك افضل لهُ من ان يبقى جاهلاً هذه العلوم . ولكن اذا رأى الفلاح صاحب الفدان والفدانين انهُ لا يستطيع تعليم اولاده ما لم يبع اطيانهُ او يرهنها ثم لا يجد اولادهُ بعد تعلمهم عملاً يعملون بهِ وجب عليهِ ان يختار اخف الشرين ويترك اولاده بلا علم ويهتم اولاً باصلاح مالهِ ومتى توفر لهُ المال استعملهُ في تعليم واحد او اثنين من اولاده او اولادهِ . وما يصدق على الفرد يصدق على الامّة وعلى الامم كلها . فان المال والسعة يمهدان السبيل للعلم والعلم يزيد المال والسعة ولكنهُ لا يوجدها من العدم

ألا ترى ان المتعلمين من ابناء هذا القطر الذين يرسلون اولادهم الآن الى البلدان الاوربية ليتعلموا فيها وينفقون على الواحد منهم بدرات الاموال في السنة قلائل جدّاً واكثر البالغين لا يعرف القراءة والكتابة . ولو اردنا ان نذكر عشرات لا يعرف الواحد منهم ان يكتب اسمهُ لكنهُ جمع ثروة طائلة بجدهِ واجتهادهِ يكفي ريعها لتعليم المئات من الطلبة وهو

ينفق الآن مئات الجنيهات في السنة على تعليم اولادهم في انكلترا او فرنسا واساتذة المدارس الذين قضوا العمر في التعلم والتعليم يشكون مرّ الشكوى من انهم لا يستطيعون الانفاق على تعليم اولادهم ولا نظارة المعارف تحسن اليهم وتعلمهم لم مجانًا

يقول قائل « علموهم واتركوهم » هذا القول يصح في بلاد جمع اهلها ثروة طائلة كفرنسا وانكلترا ويصح ايضًا على اولاد الاغنياء بنوع عام ولكن البلاد التي تعوزها الحنجيات مثل بلادنا لا تستطيع ان تعلم كل اولادها واذا علمهم احد لها ترك اكثرهم العمل وعاش عالةً على غيره . فسبيلها ان تصلح اموالها اولاً وتكتفي بتعليم من تدعو الحاجة الى تعليمهم ويرجى منهم النفع الكبير ومتى صلح احوال وزادت الثروة صار الإنفاق على التعليم سهلاً وعاد النفع على البلاد بزيادة الثروة

(٥) النتيجة

ان نظارة المعارف التي تنفق نصف مليون جنيه كل سنة على التعليم ومجالس المديريات التي تنفق ربع مليون جنيه مسؤولتان امام الامة التي تنقدهما هذه الاموال من عرق جبينها وتعب ايديها عن انفاق كل قرش منها لكي لا ينفق الاّ في السبيل الاصلح لانفاقه . وحتى الآن لا تستطيع الامة ان تعلم كل ابنائها وبناتها فلا بدّ من اختيار الذين ينفع فيهم التعليم اكثر من غيرهم ويرجى منهم النفع الاكبر لبلادهم . لو كانت ثروة البلاد تسمح بتعليم كل اولاد الامة اي لو استطاعت الامة المصرية ان تنفق اربعة ملايين من الجنيهات كل سنة على التعليم وكان فيها من المعلمين والمعلمات العدد الكافي لتعليم كل الذين في سن التعلم لقلنا يجب ان تعدّ موائد العلم لجميع على حدّ سوى ولكن ما دام المال الذي يمكن انفاقهُ على التعليم لا يزيد عن سدس ما يلزم لتعميمه ويجب ان نكتفي بتعليم سدس اولاد الامة وان يختار السدس الاصلح للتعلم ويتأدب الباقون في العمل الى ان تتسع الثروة وتأذن حال البلاد المالية بتعميم التعليم فيها

وكلما رأينا شيئًا لتعميم التعليم وجب ان لا نجبر عليهُ فاذا استطاع سكان عزبة او كفرة ان يستخدموا معلماً لاولادهم فليستخدموهُ ولو لتعليمهم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب فقط واذا وجدوا انهم لا يستطيعون ان يستغنوا عن مساعدة اولادهم لهم في اعمالهم الزراعية فليدعوهم يشتغلوا ليلاً او في الاوقات التي لا يعملون فيها في الزراعة شأن الفلاحين في بلاد سويسرا فان اولادهم يقيمون في الكتّاب نصف النهار وفي الغيط النصف الآخر ومتى كثرت اعمال الزراعة في فصل الصيف انقطعوا اليها وتركوا الكتّاب